

159 سلسلة محاضرات الإمارات

اللغة العربية وسؤال المصير

نهاد الموسى



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم

تأسس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/ مارس 1994، بوصفه مؤسسة مستقلة تهتم بالبحوث والدراسات العلمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي على وجه التحديد، والعالم العربي والقضايا الدولية المعاصرة عموماً.

من هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار «سلسلة محاضرات الإمارات» التي تتناول المحاضرات، والندوات، وورش العمل المتخصصة التي يعقدها المركز ضمن سلسلة الفعاليات العلمية التي ينظمها على مدار العام، ويدعو إليها كبار الباحثين والأكاديميين والخبراء؛ بهدف الاستفادة من خبراتهم، والاطلاع على تحليلاتهم الموضوعية المتضمنة دراسة قضايا الساعة ومعالجتها. وتهدف هذه السلسلة إلى تعميم الفائدة، وإغناء الحوار البناء والبحث الجاد، والارتقاء بالقارئ المهتم أينما كان.

راشد سعيد الشامي

رئيس التحرير

سلسلة محاضرات الإمارات

- 159 -

اللغة العربية وسؤال المصير

نهاد الموسى



تصدر عن

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

محتوى المحاضرة لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

ألقيت هذه المحاضرة يوم الثلاثاء الموافق 13 فبراير 2013

© مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية 2013

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 2013

ISSN 1682-122X

النسخة العادية ISBN 978-9948-14-647-6

النسخة الإلكترونية ISBN 978-9948-14-648-3

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

سلسلة محاضرات الإمارات - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص. ب: 4567

أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: +9712-4044541

فاكس: +9712-4044542

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: <http://www.ecssr.ae>

مقدمة

يفترق الناس، هذه الأيام، في أمر اللغة العربية إلى موقفين متقابلين؛ يعتصم أصحاب الموقف الأول بأن اللغة العربية محفوظة حِفْظَ الذكر الحكيم بإطلاق، وأن لها فريدة بين اللغات كافة بما هي وعاء تراث ممتد على الزمان دون انقطاع على مدى سبعة عشر قرناً، وأنها لسان التواصل بالضرورة وبالفعل في فضاء المكان العربي من الخليج إلى المحيط، ورأس مقومات الأمة، وعنوان الهوية وتحقيق الذات في مواجهة الآخر. وهي تمتد في مجال وسائل التقنية حتى لتكاد تكسر احتكار الإنجليزية لشبكة الإنترنت، كما تمتد في خطاب المعرفة العلمية بأية ما نجد من حضورها في ترجمة البرامج التلفزيونية الطبية والنشرات الدوائية، وما نشهد من توافر الشروط التي أصبحت متاحة للتقدم في مشروع تعليم العلوم بها. بل ما نجد من ازدياد الإقبال على تعلمها لدى الناطقين بغيرها، لحوافز اقتصادية وغيرها.

أما الفريق الآخر فيذهب مذهباً مغايراً تماماً؛ إذ يرى أن اللغة العربية تتآكل، وأنها ستنحسر بعد بضعة عقود إلى دائرة التعبد، فالحفظ إنما يتوجه إلى الذكر الحكيم فحسب، وأما أنها لسان التراث فتلك ميزة يقتصر الاحتفاء بها على دوائر محدودة من الناس وأهل الاختصاص، كما أن علاقتها بالهوية متغيرة، وهي تتراجع الآن في ظل تنامي النزعات الجهوية، وتغليب اللهجات المحكية في فضاء الخطاب الفضائي. ثم إنها معطلة الفعالية في شطر العلوم والتكنولوجيا وإدارة المال والأعمال خاصة، وهي في وسائل التواصل

الاجتماعي أخلاط يسودها، في جزء عريض، أنماط من العامية المكتوبة بالحرف اللاتيني، بل بأرقام تقوم مقام بعض الحروف حتى لتشبه أن تكون خطاباً لغوياً متنائياً بل منقطعاً، وذلك نظير ما نجد من تجلياتها في وسائل الإعلام التي كأنها برج بابل "تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ". أما في التعليم فهي تعثر في الازدواجية (الفصحى والعامية)، وتُعَقِّبُ في الناطقين بها لجلجة واضطراباً، بل يرين عليهم شعور بالإلف؛ إذ يكتسبون لهجاتهم المحلية المحكية، ويجدون أن بينها وبين العربية الفصيحة نسباً قريباً، وأن ما يتأدى إليهم من المعرفة كافٍ في أداء مطالب الحياة القريبة من حولهم، ما يجعلهم غير مقبلين على استدخال نظامها في مواقف التعلم، لما يقتضيه ذلك من الجهد الذي كأنها يرونه من لزوم ما لا يلزم.

من أحوال العربية بالأمس

تمثل هذه الحال رَجْعاً لصيرورة العربية في بعض أطوارها على الزمان.

يحكي الجاحظ في البصرة في القرن الثالث أن أسد بن جاني «كان طبيياً فأكْسَد* مرة، فقال له قائل: السنة وَبِئْة والأمراض فاشية، وأنت عالم، ولك صبر وخدمة ولك بيان ومعرفة، فمن أين تَوْتَى في هذا الكساد؟ قال: أما واحدة فإني عندهم مسلم، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب، لا بل قبل أن أُخْلَق، أن المسلمين لا يفلحون في الطب، واسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا وجبرائيل ويوحنا وبيرا، وكنيتي أبو الحارث، وكان ينبغي أن

* بمعنى أصاب عمله الكساد.

تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم، وَعَلَى رداء قطن أبيض، وكان ينبغي أن يكون ردائي حريراً أسود، ولفظي لفظ عربي، وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهلِ جُنْدَيْسابور»¹.

وكانت جنديسابور، يومذاك، تتبوأ منزلة كونية في المعارف العلمية والفلسفية والطبية، وكان بها مركز تعليم واستشفاء يضم مدرسة للطب ضمت أبرع الأطباء، وبها اقترنت حركة الترجمة عن الهيلينية في العصر العباسي. ولم تكن العربية في تلك الحقبة من تاريخها وسيطاً مناسباً للترجمات العلمية (كما السريانية والفارسية) إذ لم تكن تنتظم ألفاظاً تقنية جاهزة في هذه السبيل.² وإنما كانت المزية للغة جنديسابور بمحمولها من التفوق في الطب، وقد استتبعت تلك المزية منظومة سيميائية من الأسماء والكنى والأزياء تشبه ما نحن فيه الآن؛ إذ يقترن التقدم العلمي لدى الآخر بسلسلة من المزايا في أسماء أصحابه ولسانهم وأزيائهم.

على أنه في القرن الثالث الهجري أيضاً، ولكن في قرطبة، يطالعنا موقف مقابل، إذ يجأر الراهب ألفارو بالشكوى من إعراض الشبان الإسبان عن تعلم اللاتينية واندفاعهم في تعلم العربية. وكانت العربية يومذاك لغة القوة السياسية المتقدمة بمشروعها الحضاري الواعد. وتحققت المزية للعربية بما هي لغة الحاضر الغالب يومذاك على اللاتينية بما هي لغة التراث الغابر.

التحدي والاستجابة

مضت العربية على الزمن متنازعةً تتجاوزها قوى ارتباطها بالدين، وقوى المتغلبين من سائر الأمم، «فلما تَمَلَّكَ العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم

بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حُفِظَ الدِّينُ»،³ «وصار ذلك مُرَجَّحاً لبقاء اللغة المضرية من الشعر والكلام، إلا قليلاً بالأمصار، عربيةً. فلما ملك التتر والمغول بالمشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام، ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسمٌ في الممالك الإسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم؛ وذهبت أساليب العربية من الشعر والكلام إلا قليلاً يَقَعُ تعليمه صناعياً بالقوانين المتداولة من علوم العرب».⁴

وكان التحول الذي كان يجري على العربية، وتغوّل الآخر عليها، كانا يستنهضان الجهود لحفظها، حفظاً للذكر والسنة. يقول ابن منظور في مقدمة كتابه لسان العرب، مبيناً غايته من وضعه:

إنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية وذلك لما رأيت قد غلب، في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعاييب معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهل لغته يفخرون، وصنعتة كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون.

وكان صنيع ابن منظور استجابة للتحدي، وكان لسان العرب ملاذاً للعربية، ولا يزال موثلاً وحافظاً لها في ذاكرة الأجيال.

وتتثال علينا الوقائع في جدل اللغة مع قيم بقائها والعوامل التي تتجاوزها في منزلتها وسيرورتها. فحين استعرت حملة التريك في أواخر العهد العثماني ففرضت اللغة التركية لغةً للتعليم، وحُظِرَ على أبناء العربية التحدث بها، استيقظ لدى العرب شعور محض بأن هويتهم مهددة، وكانت العربية رمزاً للهوية، فاتخذوا موقفاً راسخاً معانداً، إذ تحدى الشباب العرب تيار التريك، وتداعوا إلى استعمال الفصحى حتى في مقاهي الأستانة، وأنشئت النوادي والجمعيات التي جعلت شعارها التحدث بالفصحى والتحفيز عليه!⁵

وكان ذلك شأن العربية مع الفرنسية في الجزائر وخطوة فرنسا لفرض الفرنسية وإقصاء العربية هناك؛ إذ وجد الناس في ذلك استلاباً للهوية باستئصال رمزها، وهو اللغة، يستتبع إقصاءهم عن مرجع الاعتقاد، وهو النص المقدس المنزّل باللسان العربي، واندغم في تيار المقاومة بُعدان: بعد الهوية، وبعد الاعتقاد، في رباط عضوي بين اللسان والدين.

إن تردد اللغات بين منازل الفضل يشبه أن يكون ظاهرة عامة. فقد كانت الملكة إليزابيث الأولى في القرن السادس عشر تتحدث إلى السفراء الأجانب باللاتينية لا بالإنجليزية⁶ التي تصدر العولمة هذه الأيام، وتتغول على اللغات الأخرى، بما هي لسان العلوم والتكنولوجيا والمال والأعمال، المستحوذة على وسائل الإعلام وعلى شبكة الإنترنت. وكانت الفرنسية في القرن السادس عشر تُعدّ لغة فظة إذا قورنت باليونانية⁷ الموسومة بترائها الملحمي والفلسفي؛ كان هذا شأن الفرنسية التي تزدهر اليوم وتزدهر بألقها الموسوم بالثقافي والحضاري والجمالي!

نبوءات متباينة

ثم دار الزمان، وأذن القرن العشرون بالأفول، وأذّن المشهد الكوني بسؤال عريض حول مصير اللغات، وأصبحت ظاهرة "موت اللغات" عنواناً يومياً كسائر عناوين العولمة وأعلامها ورموزها. واستفاضت في هذا الشأن تقديرات إحصائية عامة متفاوتة ونبوءات؛ منها أن عدد لغات العالم اليوم زهاء ستة آلاف وثمانمئة، وأن خمسين إلى تسعين في المئة من هذه اللغات ستختفي مع نهاية القرن الحادي والعشرين.⁸

نجم هذا في سياق استعلان العولمة وامتداد اللغة الإنجليزية في أنحاء "القرية الكونية"، وفزع لهذا المد الناطقون بالألسنة البشرية حتى الألسنة العالمية. يتساءل المؤرخ ألان دو كيتس (Alain Decaiz) عضو الأكاديمية الفرنسية: هل يكون مصير اللغة الفرنسية مصير اللغات الهندية الأمريكية التي أصبحت ذكرى لم يبقَ منها إلا ما تردده بضعة ببغاوات هرمة على ضفاف نهر أورينوكو؟⁹

وكانها أصبح السؤال العالمي في الوقت الراهن - كما يرسله السيد ياسين - هو: «هل ستقرض اللغات القومية أمام زحف اللغة الإنجليزية التي تسيطر على شبكة الإنترنت، وخصوصاً بعد أن أصبحت لغة البحث والتخاطب في المؤتمرات العالمية؟»¹⁰ ولم تكن العربية، على التعيين، بمنجى من هذا النذير، إذ هي - عند بسام بركة - «في مطلع هذه اللغات المهددة».¹¹

وانتصب أمام العربية سؤال مصيري جديد، يضاف إلى الأسئلة المعلقة التي واجهتها في القرن الماضي. ولكن هذا السؤال قد تصدّر الأسئلة جميعاً،

وكانما أصبح عنوان القضية اللغوية في العربية هو: العربية والعولمة، والعولمة والهوية الثقافية، وأصبح هذا السؤال المصيري محور الندوات والمؤتمرات اللغوية العربية في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، كما أصبح عنواناً لبعض المؤلفات، بل عنواناً لبعض المقالات الإعلامية.

ولعل معترضاً يعترض بأن هذا السؤال غير لازم، وأن العربية لن تواجه هذا المصير؛ فقد أعلن الكاتب الإسباني كاميلو جوزي سيلا الحائز جائزة نوبل في الآداب لعام 1989 تقديرته الاستشرافية بشأن مصير اللغات الإنسانية،¹² إذ «كشف عن تنبؤاته المستقبلية بما ستؤول إليه الألسنة البشرية العالمية المنتشرة اليوم»،¹³ و«ارتأى أن الثورة الاتصالية وانفجار أدوات التواصل التي اختزلت بُعد الزمان، وألغت بعد المكان، وتجاوزت - بوساطة الصورة - حواجز أدوات التعبير، سيؤديان تدريجياً إلى انسحاب أغلب اللغات من ساحة التعامل الكوني، وإلى تقلصها في أحجام محلية ضيقة، ولن يبقى من اللغات البشرية إلا أربع قادرة على الحضور العالمي وعلى التداول الإنساني، وهي الإنجليزية والإسبانية والعربية والصينية».¹⁴ بل قد يلوذ المعترض بما يتداوله الباحثون في مستقبل اللغات ومصائرهما، إذ يرون العربية إحدى أوسع لغات التواصل انتشاراً.¹⁵ ويفتحون لمقبلها باباً من التفاوض بالتساؤل: هل يتسع نطاق العربية واليابانية مستقبلاً؟¹⁶ وهم يتنبؤون بأن منزلتها بين اللغات العالمية ستتقدم على ما هي عليه الآن؛ إذ إن جداول تصنيفهم لمقادير انتشار اللغات في نهاية القرن الماضي، جعلت العربية بين اللغات الإقليمية (Regional)، إلى جانب الصينية والفرنسية والروسية والإسبانية، على حين تجعلها الجداول البيانية عن صعود اللغات وانحدارها لعام 2050

في مصافّ اللغات الكبرى (Big) مع الهندية والأوردية والإنجليزية والإسبانية.¹⁷ بل سلكها (Trudgill) قبل عشر سنوات في اللغات "القواتل"، وهي التي تثبط استعمال لغات غيرها وتؤدي إلى انحسارها في التداول، واللغات القواتل لدى (Trudgill) هي: الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والروسية والعربية والسواحلية والصينية والإندونيسية الملاوية.¹⁸

ولكن ذلك كله واقع في حد التنبؤ، وهو مخفوف بكثير من الشكوك، بل إن أصحاب هذه التنبؤات يقدّرون أنها قد تكون خطأ، شأنها في ذلك شأن تنبؤات سابقة. وهم يتنازعون في أمر العوامل التي تؤدي إلى انتشار اللغات؛ إذ يعدّ بعضهم تلك العوامل سياسية وسكانية واقتصادية، مُطَرِّحاً العامل الثقافي، مُقْصِياً الاعتقاد التقليدي بالعلاقة بين اللغة والهوية؛ وهو مذهب متطرف يدافعه اللسانيون الاجتماعيون خاصة. فإذا بلغ الباحث في هذا الشأن ما تواجهه العربية من التحدي في مجال العلوم والتكنولوجيا أصبح في ريب من أمر التنبؤ بمستقبلها.¹⁹

ويعترف الباحثون في هذا الشأن بأن تنبؤاتهم تظل بمنأى عن سكينة اليقين؛ ذلك أن معياراً يمكن الركون إليه في أمر التنبؤ محتاج إلى أن يسبر دينامية الطبيعة اللغوية في تعدّد أبعادها وتعدد وظائفها؛ ولعل العربية في وسائل الإعلام أن تكون مثلاً دالاً في هذه السبيل.

العربية في المشهد المعاصر: التجليات والمرجعيات

إذا تمثّلنا العربية في حضورها المشخّص بتجلياتها في وسائل الإعلام، وهي كتابها المفتوح على المشهد العربي، ووجوه تداولها في وسائل التواصل

الاجتماعي، وهي تمثل حضورها اليومي المشخص في حياة الناطقين بها، وجدناها تتمثل في مستويات أو أنماط متباينة كأنها برج بابل، تتقاطع فيها مرجعيات متباينة شتى:

● فهي العربية الفصحى في أداء التنزيل العزيز، والشعر الفصيح، وبعض الدراما التاريخية، ومأثور القول من الحكم والأمثال بمرجع المقدس والتراث.

● وهي العربية الفصيحة - ببعض التجوّز - في نشرات الأخبار والبرامج الوثائقية، بمرجع الامتداد في الفضاء العربي.

● وهي الفصيحة بالقوة، وهي العربية المكتوبة (ذلك أنها لا تكون فصيحة بالفعل إلا عند النطق بها) كما في ترجمات البرامج والأفلام الناطقة بغير العربية، بمرجع العرف في رسم العربية، إذ إن الكتابة هي السياق الذي جرى العُرف بأنه حيز مخصوص للغة الفصيحة، وإن يكن هذا العرف يواجه تحدياً صارخاً، كالذي نشهده من هذه الإعلانات المضاعة المكتوبة بالعامية وهي تستشري، على الرغم من أنها ينبغي أن تكون مستهجنة؛ إذ كيف نكتب لمن لا يقرأ؟ وذلك أن العامية إنما هي نمط من خطاب المشافهة وليس لها نظام كتابي متعارف عليه.

● وشبه الفصيحة، وهي عربية طورها بعض مراسلي الفضائيات بمقتضى تقريبها من مستوى لغة النشرة الإخبارية، بمرجع الحافز المهني والجدوى الاقتصادية لدى المراسل.

- والعربية الوسطى، عربية المتعلمين المحكية التي هي نمط لغوي يأتلف من الفصيحة المتعلمة والعامية المكتسبة، بمرجع الاقتصاد في الجهد.
- والعاميات العربية القطرية المتباينة، وهي خطاب المشافهة لدى العامة بأمر المكتسب بالسليقة، وفي المسلسلات الدرامية العربية المستفيضة بمرجع الواقعية أو النزعة الجهوية.
- والعاميات العربية المحكية، أو المكتوبة على غير نظام أو بالحرف اللاتيني في لغة الإعلان خاصة، بمرجع المصلحة الضيقة، وكثير من مخاطبات وسائل التواصل الاجتماعي بمرجع الاقتصاد في الجهد، أو استهواء الآخر وغياب السياسة اللغوية.
- والعاميات المهجنة بالإنجليزية أو الفرنسية، بمرجع التباهي وتقليد الآخر.
- والعاميات المهجنة بالأوردية، بمرجع الحاجة الضرورية إلى التواصل.

أما مصير العربية في مشتبك هذه المرجعيات والأحوال، فيتمثل في تفكيك منظومة من القيم والقوى، تؤول في نهاية التحليل إلى جدل ثقافي والاقتصادي. وتتمثل هذه القيم والقوى في مشتجر من العلاقات: علاقة العربية بالنص المقدس، وعلاقتها بالتراث، وعلاقتها بالهوية، وعلاقتها بالتعليم، والاقتصاد، والازدواجية، والثنائية، والعلوم، والعولمة.

العربية والنص المقدس

أمّا علاقة العربية بالنص المقدس فهي عضوية بلا ريب، فعلى مثاله وُضِعَ نَحْوُ العربية،²⁰ إذ كان القرآن أول مصادر الاحتجاج في إقامة صفة

العربية. ولتصحيح أداء العرب وغير العرب للذكر الحكيم وُصِفَتْ العربية، وقَعِدَتْ مَعْلَمًا مُعَلِّمًا ونموذجاً مُؤْتَمًّا هادياً. ولا يزال هذا شأن العربية. وحقاً أن النص المقدس ظلّ محفوظاً بالعهد الإلهي، أما العربية فقد تطورت وتغيرت. ولكن النص المقدس بما هو مرجع الاعتقاد ظل موثلاً يفِيء إليه أهل العربية إذا تغول عليهم الآخر.

وصفوة القول أن حفظ الذكر بالعهد الإلهي يمثل ضماناً لبقاء العربية في المشهد الإنساني على الرغم من كل ما يتجاذبها في دورة الصراع ونواميس التطور. على أننا ينبغي أن نحترس من الإطلاق في علاقة العربية بالنص المقدس، ذلك أنها ليست تلقائية، فقد يكون النص المقدس متداولاً في التعبد، ولكن المتعبدين به لا يحسنون لسانه، ولا يجيأ على ألسنتهم، كما في جزر المالديف وبلدان إسلامية أخرى.

العربية والتراث

تُعدّ العلاقة بين العربية والتراث علاقة فريدة، إذ العربية هي لسان تراث عربي إسلامي يمتدّ سبعة عشر قرناً. وقد حفظت العربية هذا التراث كما امتدت به؛ إذ إنها في نسيجها الصوتي والصرفي والنحوي قد ثبتت على الزمان هذا المدى المتطاوّل. ويروقنا أن نذهب مع الأقوال المتواترة في هذه المزية، ولنا أن نستأنس عند ذلك بأن تعليم الناشئة للعربية سيفتح لهم كتاب الزمان العربي الإسلامي بتراثه الذي ينتظم «حقولاً واسعة من التراث الأدبي والفني والثقافي والعلمي، تتضمّن عناصر جمالية قوية لم تفقد مع مرور الزمن طلاوتها وسحرها وروعها».²¹

ولكن علاقة العربية بالتراث ليست مطلقة. إن هذا التراث ليس صالحاً كله، ولكن جانباً غير قليل منه يظل صالحاً بل خالداً.²² إن تَنخُلُ التراث واستلهامه واستعماله وتجديده تظل مطلباً ضرورياً. ولكن تفعيل التراث في حياتنا يقتضينا تدبيراً منهجياً في وجوه شتى، تفتح لنا آفاقه وتهيئ لنا سبل الحوار معه. ولعلّ هذا التسأل كافٍ في الإبانة عن مُشكل العلاقة بين العربية والتراث: أحقاً أن الجيل العربي المعاصر يرى في الشعر الجاهلي وشعر المتنبي وأدبَي الجاحظ وأبي حيان وفكر ابن خلدون ضرورة؟ أحقاً أن سبيل الجيل إلى هذا التراث موطأة، وأن زمان العربية فيه دائري؟

لعل شيئاً من هذا قائم بالفعل لدى فئة قليلة من الناس، ولكنه قائم بالقوة لدى جمهرة أبناء العربية، ويصبح تَنخُلُ التراث وتقريبه والكشف عن جمالياته ووجوه الإبداع فيه مطلباً علمياً تعليمياً إعلامياً.

العربية والهوية

ليس شأنُ العلاقة بين العربية والهوية بمختلف. إنّه متغيّر على أنحاء بأعيانها. قد تستيقظ هذه العلاقة بعنفوان تصبح معه اللغة رمزاً وعنواناً، وذلك في حالة المواجهة والتهديد. وذلك تأويل صرخة محمود درويش: «سجّل أنا عربيّ»، وذلك شأنُ العربية في الفكرة القومية لدى قسطنطين زريق وزكي الأرسوزي، وذلك شأنها في فلسطين المحتلة.

يقرر قسطنطين زريق منذ وقت باكر (عام 1938) أن واجب العربي الواعي قومياً أن يتفقه في لغته، ليعرف منشأها وجوهرها الخاص الذي مكّنها من أن تسود فضاءات شاسعة. وهو يحتفي بأن العربية قد أنبأت بحيوية

عظيمة في بنيتها البالغة الإحكام، ومدى انتشارها ومرونتها، ما جعلها موائمةً للتعبير عن علوم وفنون متعددة. ويدعو العرب إلى استكشاف أسرار هذه الحيوية ليضعوا أيديهم على هذه القوى الفريدة التي تمثلها العربية حتى يستثمروها في تنظيم حاضرهم وبناء مستقبلهم.²³

وفي هذا السياق من الزهو بالعربية، أنشأ زكي الأرسوزي كتابه العبقريّة العربية في لسانها، وقد جَهِدَ أَنْ يَشْحَدَ هذا الشعور بضروب من النظر في العربية متخذاً لذلك أداتين: أداة فيلولوجية تتبصر في نظام العربية مستفيدة من مقولات النظرية الثنائيّة والروابط الدلالية بين الكَلِم؛ وأداة من النظر العقلي الوجداني مستفيدة من مقولات الاجتماع والطبيعة الإنسانية. والأداتان تتعاقدان في إيقاظ الوعي بأسرار العربية والافتتان بسحرها، وتلتقيان على القول بعبقريتها تعزيزاً لموقعها في بنية الأمة من حيث هي رأس مقوماتها.

كان هذا في أثناء تنامي الخطاب القومي الذي كان مشروعه يرنو إلى الدولة الواحدة. ولكنه - وإن تراجع عن هذا الطموح لما اعترى الأمة من ظروف وأحوال متغيرة - لا يزال مفهوماً قائماً للأمة الواحدة بِمُنْطَوِيَاتِهِ الوجدانية والثقافية. على أن من المفارقة في هذا الشأن أن قسطنطين زريق في خطاب ثانٍ له بعد ستين سنة (عام 1998) موسوم بـ"ما العمل؟ حديث إلى الأجيال العربية الطالعة"، لم يَعْرِضْ لذكر العربية، وجعل محور خطابه أن نتخذ ما دعاه بالعقلانية الخُلُقِيّة من جانبنا، وأن نأخذ بأسباب التقدم والرقي بما عند الآخر، وأن ندع ما يتنافى مع الفضيلة من نمطه الثقافي. ولكن جدل العربية والهوية - وإن ظل قائماً في الوجدان العربي بالقوة - يظل مُرْشِحاً لأن

يترجم عن نفسه بالفعل، وفقاً لناموسه الأيديولوجي المتمثل في "الأنا" بإزاء "الآخر".

إنه بعد عام واحد، أي في عام 1999، من الخطاب الثاني المشار إليه آنفاً، قام محمد أمارة وعبدالرحمن مرعي بدراسة في فلسطين المحتلة تناولت استطلاع مواقف الطلبة العرب من لغات ثلاث، هي العربية والعبرية والإنجليزية، في نواح متنوعة حول اللغة: «الناحية الرمزية، واختلاط اللغات، واختيار اللغة، وتعليم اللغات، وأساسيات اللغة في نظر المتكلم، واستعمال اللغة لأغراض عملية، والمعرفة اللغوية، والأهمية الثقافية للغة، والأهمية السياسية والمكانة العالية التي تمنحها اللغة لمستعمليها». وقد شمل الاستطلاع 999 مستجيباً هم طلبة في مدارس ثانوية وكليات عربية، في تسع قرى ومدن عربية ومدن مختلطة من مناطق جغرافية مختلفة في فلسطين المحتلة. وقد أظهرت الدراسة أن "الجانب الرمزي" فيما يتعلق باللغة العربية كان «هو الأكثر أهمية؛ لأن العبارات الخمس التي عالجت هذا الموضوع حصلت على التقويم الأعلى (مثل "إنها لغتي القومية"، "إني فخور باللغة العربية" ... إلخ)».²⁴

وإذا كانت نتائج هذه الدراسة منسجمة مع جدل العلاقة بين العربية والهوية من حيث العربية رمز عند مواجهة الآخر، فإن مما يؤنسنا أن إيقاظ الوعي بهذه العلاقة لدى الشباب العربي أقرب مما قد يذهب إليه خاطر اليأس. ولعل هذا الشباب الذي فُتن بخطاب محمود درويش الإبداعي، سيتمثل كيف أن درويش نفسه قد فُتن بالعربية في خطابه، فكانت موضوعاً محورياً شأنه في ذلك شأن الهوية والآخر، والوطن والمنفى؛ إذ يقرر في بعض

ما ورد لديه: «أنا لغتي، أنا معلقة... معلقان... عشر... هذه لغتي ومعجزتي عصا سحري حداثق بابلي ومسلتي وهويتي الأولى ومعدني الصقيل».

فإذا خرجنا بالعلاقة إلى سياق آخر ليس ببعيد، وجدنا أنه يرين عليها في نفوس أبنائها موقف الإلف، والإلف يُعقب الزراية، كما في المثل الإنجليزي. ولا إخال أحداً ينكر أن أبناء العربية يستبطنون من لغتهم هذه الأيام موقفاً غير حميد. ويكاد المشتغل بالعربية يستحيي من هذا الانتساب، إذ يظن - وبعض الظن ليس إثماً - أن فريقاً كبيراً من الناطقين بالعربية سيعُدّون اشتغاله بها يقصر به عن المزية التي يجودونها للمشتغل بلغة أخرى، أو بفنّ آخر من فنون العلم والحياة.

إن موقف أبناء اللغة منها يمثل رافداً لسيورتها وازدهارها، وإن تجديد إحساس أبناء اللغة بحيوية دورها في حياتهم يمثل مطلباً جوهرياً لبعث الروح في اللغة، واستنفار إمكاناتها الكامنة وطاقاتها الإبداعية. وواضح أن الذي يرين على موقف أبناء العربية منها هذه الأيام إنما يعود إلى تراجع المشروع العربي الجامع، كما يعود إلى اعتبار بعض اللغات العالمية رمزاً للتقدم ووسيطاً للفرص الواعدة.

العربية والتعليم

يمثل التعليم تدبيراً أساسياً في بقاء اللغة وسيورتها، ويرى منظّرو البحث في حياة اللغة وموتها أن اللغة التي تحظى ببرامج منهجية تتعهد تعليمها لأبنائها، تكون بمنجى من نُذر الانقراض.²⁵

وحقاً أن العربية في أمان من هذه الجهة، ولكن رجوع الفكرة في مؤسسة تعليم العربية في وضعها الازدواجي الراهن، يُفضي إلى شعور عميق بالفشل.²⁶ لم ينجح تعليم العربية في أن يكون منافساً لتعليم اللغات الأخرى، والمقارنة بين تعليم العربية وتعليم لغات أخرى متقدمة تفضي إلى أحكام فاجعة يلتقي عليها الطلاب والطالبات، والمعلمون والمعلمات، والآباء والأمهات. وتمتد المقارنة من الكتاب إلى طريقة التعليم. ولا يزال إخراج الكتاب المدرسي العربي لا يرقى إلى مستوى إخراج أي بضاعة مزجاة في السوق، ولا يزال تعليم العربية متروكاً لمسار التراكم العفوي حتى كأن معلّم العربية معلم غير مختص، ولا يزال كل ناطق بالعربية من سائر المعلمين يظن أنه قادر على تعليم العربية. وقد أدركت آفة الضعف معلّمي العربية أنفسهم، وانتقلت عدوى الضعف إلى التلاميذ، ودخلت العربية في مدار من الضعف كأنه الحلقة المفرغة.

وحقاً أن هناك بوادر تطوير لتعليم العربية يبدأ بتصميم اختبارات الكفاية فيها على نحو منهجي مقنن، ويتخذ مثاله ما طورته دوائر القياس والتقويم في اللغة الإنجليزية خاصة. وهو خطوة - إن أخذت بحقها - قد تسهم في إنقاذ تعليم العربية من تيه التراكم والعفوية والعشوائية.

فإذا أطللنا على المشهد الكلي أمكننا أن نقرر - من دون تحفظ ولا أسى - أن تعليم العربية ينشد أن ينافس تعليم الإنجليزية (أو الفرنسية) في اتساق مناهجه، وجاذبية تأليفه، وتوافر وسائله، ووظيفيته، وتأهيل المعلم، وتمكين المتعلم، وجعل الموقف التعليمي موقفاً درامياً يزجي المعرفة اللغوية، ويجعل ممارسة اللغة وتدوقها متاعاً عقلياً ونشاطاً شائقاً يُقبل عليه المتعلم

ويسهم فيه بفعالية. ويكون المعلم في تناول المعطى اللغوي أو النص،
كالمخرج الذي يتحقق برسالة موضوع العمل الدرامي، وينشئ من حوله
مشهداً نابضاً بالحياة والحوار وتداول الأدوار.

العربية والاقتصاد

يمثل الاقتصاد، ولو على وجه الاستهلاك والترويج، رافداً لتداول
العربية. فالعربية الفصحى، مثلاً، هي اللسان المعتمد في ترويج كل سلعة
عينية أو فنية يراد لها التسويق في العالم العربي من المحيط إلى الخليج؛ إذ
يقدم جون وماري بعربية فصيحة مدبلجة عروضها الشائقة في تسويق
أدوات التنحيف والتنظيف والتجميل... إلخ في قنوات فضائية خاصة.
وينطق خوسيه وكرمليتا بالعربية الفصيحة المدبلجة في المسلسلات
الرومانسية المستعارة من أمريكا اللاتينية، ويتخذ الفصحى لساناً للوقائع
اليومية على لسانيهما من ينشد تسويق عمله الدرامي المدبلج هذا على أوسع
نطاق عربي، وتكون العربية الفصيحة متقبّلة يتابعها الصغير والكبير
والمتعلم والأمي بلهفة.

ولا يزال العامل الاقتصادي (إضافة إلى عوامل أخرى) يحفز على اتخاذ
الفصحى وتداولها حتى في الخطاب الشفوي، وما شأن مراسلي الفضائيات
منّا ببعيد. لقد طوّروا على نحو تلقائي كفاية لغوية حاضرة في رصد الوقائع
وتحليلها (على الهواء مباشرة)، وهي كفاية تقارب الفصيحة امثالاً
للانسجام مع المستوى اللغوي للنشرة الإخبارية، وامثالاً لمطلب الانتشار
في فضاء عابر للّهجات. إنه الحافز الاقتصادي في المقام الأول إلى جانب

إجراءات النجومية ومطلب التقدم المهني. وبمثل هذا الحافز تجتهد ممثلة ناشئة في إتقان الخطاب بالعربية على شروط الفصيحة جميعاً إذا أُسند إليها دور تمثيلي في دراما اجتماعية ناطقة بالفصيحة، أو في دراما تاريخية.

لكن ذلك كله واقع في نطاق استجابة العربية وتداولها على مستوى "الاستهلاك". إنَّ نكوص الأمة عن الإنتاج المنافس قد قصر بالعربية عن جانب من أهم جوانب فعاليتها، وقد أفضى بمعجمها إلى غربة شاملة؛ إذ أصبح جُل ملبسنا ومركبنا ومشربنا ومأكلنا ناطقاً بلسان غير عربي.

ويرى منظرٌ والعلاقة بين اللغة والاقتصاد أن «من عوامل الإخفاق الاقتصادي العربي الحالي أن القوى العاملة العربية ضعيفة المعرفة، ولا تتحدث في العلم والتكنولوجيا باللغة الوطنية»،²⁷ و«أن العمل المشترك المنتج والفعال في المكتب والمصنع والحقل يحتاج إلى لغة علمية وتكنولوجية حية، وأن العمل المشترك والتعاون ضمن الأمة يؤدي إلى زيادة دخل الجميع، وهذا لا يتحقق إلا باستعمال اللغة الوطنية»،²⁸ و«أن استخدام التكنولوجيا استخداماً فعالاً من قبل القوى العاملة، ومن قبل كامل المجتمع، وخاصة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، يحتاج إلى انتشار هذه التكنولوجيا باللغة الوطنية للوصول إلى ما يسمى بمجتمع المعرفة الذي لا يمكن أن يقوم بلغة أجنبية». ²⁹ ومما يؤنس في هذا المجال أن الدراسات العلمية العربية عن «المردود الاقتصادي لاستعمال اللغة الوطنية في مجال الإنتاج والخدمات أخذت تتنامى، وأن ما تساعد عليه اللغة الوطنية من استيعاب المعرفة والمعلومات، ومن قدرة على الابتكار، ومن ربح في الوقت،

يمكن حسابه اقتصادياً»،³⁰ بل إن منظري اللغة والاقتصاد يقررون أن «دور اللغة الاقتصادي والاجتماعي يوازي دور النقد [البنكوت]». ³¹

ولكن الاقتصاد قد يكون براجماتياً خالصاً يَنْشُدُ المنفعة العاجلة، والغاية عنده تبرر الوسيلة، وهو يتخذ الإعلان وسيلته الحاسمة، ويمثل الإعلام بصورته المنطوقة بل المكتوبة لأمر المُعْلِن، وهو الاقتصادي في المقام الرئيس. وقد أفضى الإعلان في بعض صورهِ إلى ترويج العامية وتهجين العربية، وامتدَّ إلى الصحافة المكتوبة، فأشاع ضروراً من كتابة العامية، بل أباح فضاء العربية للغة الإنجليزية وغيرها. ولعل هذا المثال الفاقع يمثل تدبيراً مباشراً في ترشيد الاقتصادي الباحث عن المنفعة في السوق العربية.

لقد استفحلت ظاهرة من الاستلاب اللغوي والثقافي، وخاصة في قطاع الشباب، تتمثل في سيميائه في لباسه (وعَلْمُهُ الجينز) وهذه القمصان على هيئة حرف (T) اللاتيني. إن هذه القمصان بما تحمله من شعارات وعبارات تمثل قِيَمَ الآخر، وتبلغ في كثير من الأحيان حدَّ البذاءة، تتغلغل في اتجاهات الشبان والشابات، بل تستهوي حتى الأطفال وتفضي بهم إلى التقليد التلقائي. فهل لدينا، في هذا السياق العربي بكل تناقضاته وتعقيداته، اقتصادي عربي رشيد ذو نظر بعيد يحاوره وعي لغوي سديد، يستطيع أن يطور مشروعاً إنتاجياً عربياً يقوم على قطن عربي ينسج بأيدي عربية، ويصنع مثل تلك القمصان، ويطرزها بضروب من الأمثال والحكم والطرائف (وهل في لغة أخرى في العالم مثل ما في العربية من ذلك؟)، ويطور خطوطها التي نُكْتُبُ بها مستعيناً بالتصميم الخطّي (Graphic Design)، وما تتيحه تقنيات الحاسوب (وهل كان في خطوط أي لغة من لغات العالم ما للخط العربي من هذه المزية الفنية

المخالدة؟)، ألا يكون هذا الحلم الرغائبي، مثلاً، مشروعاً عربياً جامعاً حقيقياً بأن يُمثّل استثماراً مثلث الأبعاد؛ يحمي قيماً ثقافية بالعربية الفصحى، ويزين الخط العربي في نفوس الشباب ويجرهم من هذا الاستلاب، ويحقق لونا من ألوان "التنمية الذاتية الاقتصادية" في آن معاً؟

العربية والازدواجية

تمثل الازدواجية القائمة في حياتنا اللغوية بين الفصحى والعامية عبئاً ثقيلاً علينا في وجوه شتى؛ فهي علة «هذه المعاناة التي تعانيها أجيال من المعلمين ومن المتعلمين، وهذا الجهد المهدور الذي تبذله المدرسة، ويقتله الشارع، وبينه معلم العربية في ساعة، ويهدمه زملاؤه معلمو المواد الأخرى في ساعات».³² وهي تورثنا خللاً لغوياً وشللاً، فنحن نكتسب العامية ونستعملها سليقة من دون علم بقواعدها (علم الواعي)، ونحن نتعلم الفصحى فنعرف قواعدها معرفة نظرية، ولكننا نتعثر في استعمالها، ونتردد، ونلحن، ونكسر. وهي الجدار الحائل بيننا وبين أمانينا في نشر العربية في العالمين، إذ يدخل الراغب في تعلم العربية من غير العرب في دوامة الاختيار عند الاختيار، فاللهجات شتى، وليس في واحدة منها إلا غناء محدود بيئة واحدة ضيقة على مستوى المشافهة فحسب. والفصحى لغة كتاب لا لغة خطاب، فإذا هو جاهد النفس في تعلمها لم يستفد بها في قضاء حاجات التواصل اليومي المباشر، وهكذا ينكفي على عقبه. ولسنا ننكر على اللهجات دلالاتها اللغوية التاريخية، ولا تجاربها التعبيرية الخاصة، ولكننا نراها تُفضي إلى نهايات ضيقة مغلقة بحدود إقليمية، فضلاً عما يؤدي إليه تباينها من النفرة وسوء التفاهم. ويزيد هذا الوضع اللغوي تعقيداً أن أهل

العربية يتنازعون في موقفهم من اللهجات المحكية؛ ويطالعا في هذا المقام مقولة سائرة، وهي دعوى كل ناطق بلهجة عربية أنه يراها أقرب اللهجات إلى الفصحى. وهي دعوى يقول بها المشتغلون بالعربية أيضاً. يقول مارون عبّود في كتابه عن أحمد فارس الشدياق (المعنون: صقر لبنان: أحمد فارس الشدياق): «قابلت لهجة لبنان بلهجات الأقطار الأخرى، فوجدت لغتنا العامية أقرب إلى الفصحى من جميعها».³³ وذهب علي عبدالواحد وافي في بحوثه عن اللهجات العامية الحديثة إلى أن «أدنى هذه المجموعات إلى العربية الفصحى مجموعة اللهجات الحجازية والمصرية».³⁴ واعترض أحمد المبارك عيسى على ما ذهب إليه وافي مقررّاً «أنّ بالسودان - وخصوصاً أواسطه - لهجة هي أدنى اللهجات إلى العربية الفصحى إن لم تكن أدناها جميعاً».³⁵ وذهب حسين علي محفوظ إلى أن «العامية العراقية أقرب إلى الفصحى».³⁶ وأعلن إبراهيم حركات في عنوان عريض أن «الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية».³⁷ إن هذه الأقوال المتباينة لا تغير واقع الحالة الازدواجية شيئاً. وأخطر أعراضها ما أعقبته لدى الناطقين بالعربية من الإلف والوهم بأن العامية تُغني عن تكلف الجهد اللازم لتعلم الفصحى حتى بلغ الإلف حد الإعراض. والذي يعنينا في هذا المقام من أمر الازدواجية هو آثارها في مستقبل العربية، وانتشار العاميّات المستفيض، وتغلغلها في فضاءات التداول بها على نحو يزاحم الفصيحة مواقعها المتعارفة، فضلاً عن طبيعة العاميات المحكية المتحولة التي قد تنتهي بها إلى أنماط لغوية شتى متنائية بل منقطعة عن الفصيحة تماماً، وإذا تصدق ما يضحّمه الآخر من وصفها باللغات، إذ يقول في وصف العامية المصرية مثلاً: العربية المصرية، وهكذا.

العربية والثنائية اللغوية

مثلت الثنائية اللغوية (العربية-الإنجليزية) و(العربية-الفرنسية) في المشهد العربي على مدى قرنين من الزمان ظاهرة مؤرّقة، فقد كانت أمراً جاء به المستعمر من جهته، ووجد العرب فيه من جهتهم سبيلاً إلى استرفاد ما أنجزه تقدم الآخر. ثم استحكمت الثنائية حتى أصبحت تقليداً راسخاً. وليس على الثنائية، ولا على الثلاثية، ولا على ما هو أبعد من ذلك، حرج، وإنما الحرج على ما أعقبته الثنائية في الحياة العربية من الحيرة والانقسام. وكأنما أصبح ما هَجَس به خير الدين التونسي،³⁸ حتى ما تبنته التجربة الماليزية،³⁹ من جعل اللغة الوطنية للتراث، وجعل اللغة الإنجليزية مثلاً للعلم والتكنولوجيا، ازدواجاً راسخاً مقررأ. ولكن التجربة العربية في الثنائية قد أعقبت في حياتنا، في بعض مظاهرها، خللاً في التوازن الاجتماعي، إذ استعلى بعضهم باتخاذ الإنجليزية، وصرّف المعنى الذي يهدي إليه الرشاد من تعلم اللغة الثانية عن جهته. إن عوداً على بدء في اتخاذ اللغة الثانية يعني أن تكون تلك اللغة لنا وسيلة إضافية، أو نافذة معرفية على ما أنجزه الآخر. ولكن واقع الحال أن الإنجليزية والفرنسية، على تطاول الزمان في اعتمادهما وتعليمهما والتعليم بهما، لم تحققا في الجانب العربي نهضة علمية، بل يتحقق من يراجعون تجارب تعليم العلوم بالإنجليزية أن الطالب يستنزف جُلّ الجهد في معرفة اللغة، ما يقعد به عن استدخال المفاهيم العلمية وتمثلها وتوظيفها، بله أن تكون له وسيلة محفزة على الإبداع والابتكار والإضافة. والعربية شأنها شأن سائر اللغات كينونة قائمة محايدة، وإنما يحییها أن تستدعيها حاجة حيوية، وتقرن الحاجة في العادة بالجدوى؛ ذلك أن اللغة إنما يتعلمها أو يتخذها من يوقن بجدواها.

إن عدم التحقق من الجدوى هو ما يقعد بكثير من أبناء العربية عن أن ينتقلوا مما استحکم فيهم بالسليقة العامية المواتية إلى الفصحى، وأن يبذلوا الجهد اللازم لتحصيل نظام لغوي مقارب مفارق، إنهم يركنون إلى ما درجوا عليه من العامية؛ إذ يُوهمون أن ما بينها وبين الفصحى من وجوه الشبه ومظاهر التلاقي يجزئ عن إتقان الفصحى، فإذا أيقنوا بجدوى الفصحى في الظفر بفرص عملية شمرّوا لإتقانها عن ساعد الجدّ، وما مثل مراسلي الفضائيات، ومثلي الدراما الاجتماعية الفصيحة المدبلجة والدراما التاريخية، إلا بعض شواهد ذلك.

على أن الجدوى كلمة جامعة تنتظم وجوه المنفعة جميعاً، ورأس وجوه المنفعة والإيقان بجدوى اللغة محمولاتها من المعرفة الجديدة المستفادة. وها هنا يجمل بنا أن نتوقف بالنظر في حال العربية الحاضرة لعلنا نستشرف بعض ما سيؤول إليه مصيرها.

العربية اليوم منقوصة الفعالية أو شبه معطلة في جانبها العلمي، فهي ليست لغة متداولة في البحث العلمي المتسارع وتطبيقاته، وإذا استمرت الحال على هذا النحو فستكون العربية غداً بمعزل عن الفعالية التي تمكنها من المنافسة في هذا الجانب الحيوي الذي أصبح يتحكم في إدارة المشهد الكوني. قد تتلقى العربية ما يفرزه العلم من تقنيات الاتصال على اختلافها، ولكنها وأصحابها سيكونون مستهلكين فحسب.

ولعل من التذكار النافع أن نستحضر النموذج الياباني في هذا الشأن. لقد كان تجنب اليابان استعمال لغة أجنبية لأنها لم تُستعمر⁴⁰ ظرفاً مواتياً

لمباشرة مشروعها في التحديث بلغتها القومية، بل إنه حين جاءها وفد من سبعة وعشرين خبيراً تربوياً أمريكياً يشيرون عليها بأن تتخلى عن نظامها الكتابي⁴¹ حتى تتمكن من بلوغ التكافؤ التقني مع الغرب واللحاق بركب التقدم العلمي والاقتصادي دافعت ذلك. وها هي ذي تقلقل سكيئة أمريكا باقتصادها المنافس بلغتها القومية أولاً، وبنظام كتابتها الخاص كذلك.

وتمثل مراجعة ما آل إليه أمرنا مع هذه الثنائية القائمة في حياتنا - وإن كانت أمراً واقعاً يعززه وهم أن اللغة الثانية رمز للآخر المتفوق وفقاً للمقولة الخلدونية - تحدياً وجودياً مستقبلياً حاسماً. إن تصحيح أولوياتنا اللغوية يقتضي أن تكون العربية أولاً، بما هي لسان المقدس، ووعاء التراث، ورمز الهوية، وعُدتنا في الإبداع، وسبيلنا إلى تحقيق مجتمع المعرفة، وأن اللغة الثانية والثالثة... إلخ، إنما هي روافد إضافية نستدعيها وفقاً لحاجات نقدرها ومنافع نستفيدها على بينة.

العربية والعلوم

أمّا تعريب العلوم وتعليمها بالعربية، فقد مثلاً ولا يزالان يُمثلان شطر التحديات الكبرى. فحين أنشئت الكلية الإنجيلية السورية (عام 1866) - وهي الجامعة الأمريكية في بيروت الآن - كان تعليم العلوم فيها بالعربية، ووضع أساتذتها مؤلفات في الطب والصيدلة والعلوم بالعربية، ولكنها استبدلت باللغة العربية اللغة الإنجليزية عام 1885. ونتمثل الآن أنه لو ظلت الحال على ما كانت عليه في البدء، لأصبح لدينا على مدى قرن وربع القرن من التأليف في العلوم بالعربية، وإجراء التجارب ونشر البحوث العلمية بها،

تراث علمي ممتد مواكب للعصر، ومناخٌ مُواتٍ لمواكبة ركب العلم بالعربية. وحقاً أن التجربة السورية قد مضت على خطتها في تعليم الطب بالعربية، ولكنها ظلت يتيمة في سياق عربي مُجزّأ، وحينما أنشئت الجامعات العربية واجهت وضعاً ثنائياً محيراً.

ولعلّ مثل الجامعة الأردنية أن يكون كافياً في الدلالة على حال الجامعات العربية جملة. فقد طاف بمشروع إنشائها قبل خمسين سنة طائف من عصر الاستشراق تراءى له أن يُشرع هيمنة اللغة الإنجليزية على المشهد الجامعي كلّه، وأن يُقصي اللغة العربية تماماً. جاء ذلك في التقرير المفصّل الذي وضعه الوفد البريطاني الذي استُقدم للمشورة في شأن إنشاء الجامعة، إذ قرر أنه يعتقد أن لغة التدريس في الجامعة يجب أن تكون الإنجليزية،⁴² ولكن التشريع الذي صدر في هذا الشأن جاء مغايراً، فقضى بأن «اللغة العربية هي لغة التدريس في كليات الجامعة»،⁴³ ولكنه ذُيل بعد ذلك بأن «لمجلس الجامعة أن يُقرّر استعمال لغة أخرى للتدريس حيثما تقضي الضرورة بذلك»،⁴⁴ فأشعر بذلك باباً خلفياً للغة الإنجليزية مفتاحه الضرورة، وهي ذريعة متاحة تُشبه أن تكون صنو الإباحة. وتقابل في الجامعة من هذه الثنائية موقفان يتناوشان من مكان بعيد:

أما الموقف الأوّل، فقد جَهَرَ به دُعاة التدريس بالعربية جميعاً، وتمثّل حجج أصحاب هذا الموقف في:

- أن الطالب إنَّها يستدخل المعرفة العلميّة ويتمثلها ويبدع فيها بلغته الأم.

• وأنّ تعليم الطالب العربيّ العلومَ باللغة الإنجليزية سيحمل عليه عبئاً مركّباً من نظام لا يعرفه (نظام العلم)، ونظام لا يألفه (نظام اللغة الأجنبية).

• وأنّ استنبات المعرفة العلميّة ونماءها في البيئة العربية إنما يكونان باللغة الأم، وقد كان ذلك شأنَ أممٍ أخرى ليس لِلُّغَاتِهَا ما لِلُّغَةِ العربية من تجربة في تاريخ العلم.

وأما الموقف الثاني، فقد رَكَنَ إليه أهل العلوم، وقد أغراهم به ما أَلْفُوا في مراحل تكوينهم الجامعي؛ إذ درسوا العلوم، في الغالب، باللغة الإنجليزية، وأنسوا بما توافر بتلك اللغة من المؤلفات العلمية الموافقة لمستوى التعليم الجامعي، مقارنةً بِنُدرة المؤلفات العلمية التعليمية بالعربية يومذاك، وقصور الكتب العلمية المترجمة إلى العربية عن مستوى كتب علمية مؤلَّفة بالعربية ابتداءً، مكيفةً للبيئة الجامعية العربية أصلاً. لكن من الجدير بالإثبات هنا أنّ بعض مقدّمي أساتذة العلوم الذين واكبوا بداياتها منذ اليوم الأول حتى الآن، أصبح يُصرح بأنّ لو كانت الظروف والوسائل المتاحة يومذاك كما هي لدينا الآن لكان من المنتصرين لتعليم العلوم باللغة العربية. ولا يبقى إلا التسامح في أمر المصطلحات التي تشبه أن تكون مشتركة أو كونية، حيث يمكن الأخذ بمنهج الأوائل في تعريبها، كالذي صنعوا بما استفادوا من علوم اليونان قديماً.

العربية والعولة

يتمثل التحدي الأكبر للعربية في العولة. وهي في بعض وجوهها نظيرة الأمركة، وكانت مظاهرها تتسلل إلى تفاصيل الحياة العربية على مدى عقود

في النصف الثاني من القرن العشرين. وكانت هذه المظاهر تتخذ سيماءاتها من حيث هي "أسلوب حياة" يستهوي كثيراً منا بتلقائية الجاذبية غير مقترنة بخطاب استعلائي سافر، إلى أن آذن القرن العشرون بالأفول، وتفردت أمريكا بمنزلة القطب الأحادي، وسفرت عن مشروعها الإمبراطوري، واستعلن مصطلح "العولمة" مقترناً بها.⁴⁵ وأصبح مشروعها يتمثل في تنميط العالم على مثالها؛ حتى تنميطة لغوياً.

وقد هيأت العولمة للإنجليزية أن تنتشر وتشتع بمعجم مشترك يشبه أن يكون كونياً، معجم نجده في العربية كما نجده في كثير من اللغات الأوروبية والآسيوية والأفريقية. وهو معجم يبدأ برموز الحياة اليومية الأولية في التحية (Hi)، والشكر (Thank you)، والوداع (Bye)، والموافقة (OK)، ووعد اللقاء (See you soon)... إلخ. ويمتد إلى رموز الأطعمة (McDonald's) و (Burger King) و (PizzaHut) و (Popeyes) و (Chili House)، حتى ليتسمى العالم بـ "عالم ماك" (McWorld)، ورموز الأشربة (Pepsi Cola) و (Coca Cola) و (Seven Up)، وطرز الألبسة (Jeans) و (T-shirts)، و صنوف المركبات التي لا نعرف كيف نعيش من دونها (Caprice) و (Wheel4)، ووسائل الاتصال ومعجمها (Mobile) و (Message) و (Internet) و (Save) و (Format)، حتى ليتسمى العالم بـ (Mc Communication).⁴⁶

والاقتراض ناموس نافذ في اللغات جميعاً. وليس في العالم لغة خالصة النقاء، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فقد تغلغت العربية، مثلاً، في لغات شتى أوروبية وأفريقية وآسيوية تغلغلاً عبّر عنه ساير (Sapir) في فواتح القرن الماضي بمثل "الغيرة".⁴⁷ ويبين لنا الاقتراض - بعبارة

بلومفيلد (Bloomfield) - كيف علمت أمةٌ أمةً أخرى،⁴⁸ وهو يشير إلى ألفاظ "التجميل" المستعارة من الفرنسية، مثلاً. وإذاً يكون الاقتراض، من بعض الوجوه، دليلاً على "الترافد" اللغوي والتواشج الحضاري بين الأمم.

لكن إشفاق أهل العربية من الألفاظ الأجنبية في هذا الزمان مرجعه إلى أمور متشابكة: أولها ارتباط اللغة بالهوية، وإن يكن غير مستعلن صراحة؛ وثانيها شعور بأن هذه الظاهرة تشبه أن تكون "غزواً" لما تحمله من دلالة على تغلغل "الآخر" بألفاظه ومحمولاتها في العربية؛ وثالثها ضيق أهل العربية باستشراء هذه الألفاظ في فضاء المعجم العربي المتداول. وإذا كانت هذه الألفاظ الأجنبية "فيضاً" في بدايات القرن الماضي، فإنها غدت "طوفاناً" في زمن العولمة حين انهارت الحواجز، وانفتح المشهد الكوني، وأصبحت اللغة ساحة مكشوفة لكل ما ابتكره الآخر.

إن ملحظ "الكم" هنا هو الذي يمثل مصدر القلق المؤرق للمشتغلين بالعربية، ولكن منطوى هذا الكم هو الذي ينبغي أن يكون مصدر القلق والحافز على التدبير. إن هذا الكم إنما ينبئ بتفوق الآخر في مجال العلم والتكنولوجيا والصناعات والبضائع والبدائع. وهو أمر يتجاوز طاقة "اللغوي"، ويستنهض العلاقة بين اللغة والأمة من أول؛ فاللغة قادرة بالقوة، أما قدرتها بالفعل فمرهونة بالأمة.

ومستصفي القول في هذا الأمر، أن الاقتراض في اللغة شأنه شأن الاقتراض في الاقتصاد؛ فهو شرر كنار الهشيم إذا كان استهلاكاً وسرفاً وترفاً عابراً، وهو خير عميم مقيم إذا كان استثماراً وعدة للنماء والازدهار

والإنتاج والبناء. وقد كان هذا شأن الاقتراض والترجمة في حال العربية في أخذها عن الثقافات القديمة، وكان هذا شأن اللغات الأوروبية أيضاً؛ إذ مثَّل النقل عن العربية بالترجمة والاقتراض ركناً مهماً في النهضة الأوروبية.

وقد يكون القول في مصير العربية كالرجم بظهر الغيب، ولكن إذا كان الحاضر يجيء في جنباته هنا الآن ما كان هناك قبلاً، فإن الحاضر ينبئ بظواهره الماثلة ببعض ملامح المستقبل أيضاً. وصفوة الرأي هنا أن الأمر يخرج عن حدّ التنبؤ، وكثيراً ما تخطئ التنبؤات، وإنما هو كالتائج التي تترتب بالضرورة على المقدمات. وأنا أتمثل، هنا، مصفوفتين يكون الاقتصار على أولاهما ضماناً لبقاء العربية؛ ولو في حال حرجة منقوصة الفعالية في شطر العلم والتكنولوجيا، وتتظم المصفوفة الثانية زمرةً من المطالب يمثل تحقيقها شرطاً لبلوغ اللغة العربية حالة الكتلة الحرجة غداً.

المصفوفة الأولى:

- أن النص المقدس يمثل عنوان البقاء، فهو الملاذ في مدار الحداثان.
- وأن التراث يمثل بقاء الأصلح فهو مدد للسيرورة.
- وأن الهوية هي الرمز في مرآة الآخر، وهي قوة فاعلة حيناً، كامنة حيناً.
- وأن التعليم لا يزال مداراً للمراوحة، وهو يُبقي على العربية ولو في حال بينَ بين.
- وأن الاقتصاد هو الحاكم الخفي، والغاية عنده تبرر الوسيلة، وكثيراً ما تكون الفصيحة إحدى وسائله.

- وأن الثنائية هي مصدر الحيرة، فهي التي تقلقل سكينه العربي ومنزلة العربية.

المصنوفة الثانية:

- أن نتناول النص القرآني لنكشف عن فرادته الأسلوبية، وأن نجعل تعلم العربية سبيلاً إلى فهم النص وتذوق إعجازه.
- وأن ننقب عن درّ التراث على نحو يدفع عنه الظن بأنه نتاج زمان غابر.
- وأن نجليّ جمالياته وبصائره على نحو يحفزنا لمجاراته في إنجازه المتفوق في زمانه.
- وأن نجعل العربية رمزاً نتميز به من الآخر، ونجعل ذلك مبعثاً للشعور بالثقة ومدافعة الاستلاب.
- وأن نقنع الجيل بأن انسحابه من العربية إلى الإنجليزية أو الفرنسية يشبه أن يكون منفىً اختيارياً لا يلبث أن يضيق به، وأن يتعظ بتجربة مبدع هو الأديب الجزائري كاتب ياسين، ومفكر كوني هو إدوارد سعيد.
- وأن نجعل معرفة العربية إلى حدّ الإتقان وبلوغ التمام شرطاً للأهمية الاجتماعية المرموقة، كالذي نحرص عليه حين نستعمل الإنجليزية فنرى الخطأ فيها إثماً.
- وأن نقنع من يسخرون من الفصحى ويشخصّون الناطقين بها تشخيصاً كاريكاتيرياً، بأن ما أبدعه المتنبي بها، وما أبدعه محمود درويش وغيرهما، يفوق ما أبدع بالعاميات قديماً وحديثاً.

- وأن نزيّن للقائمين على الإعلام أن الذين تفوقوا فيه، واللواتي تفوقن فيه، إنما هم من طوّروا أداءً فصيحاً رشيقاً جذاباً، والأمثلة على ذلك موثلة.
- وأن نُغريّ الإعلان بأن يستثمر ما في العربية من سحر البيان.
- وأن تُريّ الذين يوغلون في ترويح لهجاتهم في مسلسلاتهم العربية أن خوسيه وكارمليتا وكساندرا وغيرهم في المسلسلات المدبلجة لا يفارقون واقعية التعبير عن الإنساني اليومي بالفصحى.
- وأن نصحح المعادلة الخطأ التي تكلف اللسان، بما هو اللغة، أن يؤدي وظيفة اليد بما هي العاملة والصانعة والمنتجة، أو وظيفة الأمة بما هي العاملة والصانعة والمنتجة؛ ذلك أن اللغة وحدها لا تصنع الأشياء، وإنما هي أداة مواتية للناطقين بها. إن اللغة قادرة بالقوة على أن تزودنا بالأسماء، ولكنها غير قادرة بذاتها على أن تترجمها إلى مسمياتها المنجزة المشخّصة. إن رفوف المكتبة العربية المملوءة بمعجمات المصطلحات في العلوم والتكنولوجيا لم تحقق وحدها منجزاً علمياً أو تكنولوجياً مشخّصاً. وذلك نظير ما يقع فيه الخطاب العربي المعاصر أحياناً من الظنّ أن الكلمة وحدها كافية لتحقيق منظوياتها في الواقع. إنها - ببساطة - جدلية القول والعمل، أو جدلية اللغة القادرة بالقوة والأمة القادرة بالفعل.
- وأن نحول طوفان الألفاظ المستوردة الدالة على مستحدثات الآخر من الملابس والمأكّل والمشرب والمركب... إلخ، تيارات وروافد، فنفتش عما تحتها من أصول ابتكارها، ونعمل على تطويرها والإضافة إليها بروّانا وإمكاناتنا وطموحنا إلى المنافسة والتقدم.

- وأن ننبه في الأمة روح الاختيار "اللغوي" الذي يسخر لها اللغات الأخرى وسائل قوة معرفية موجهة فحسب، ونقنعها بأن تلك اللغات لا تصلح أوطاناً للذاكرة، ولا حاضنة للوجدان الجمعي، ولا رمزاً لتحقيق الذات.
 - وأن نظور تعليم العربية على نحو مناظر، بل منافس، بل متقدم على النموذج الذي طوره الآخرون لتعليم لغاتهم.
 - وأن نستأنف تعليم العلوم بالعربية باستثمار الشروط المتاحة المتوافرة (ومثالها ما نجد من تقريب المعرفة الطبية المتخصصة بالصورة حتى إلى الجمهور العربي العام).
 - وأن نتخذ التدابير المناسبة لتأهيل العمالة الوافدة في بعض المجتمعات العربية للتواصل بالعربية، دفعاً لهذا التهجين المتفاقم الذي أصبح يشوب العربية في فضاءات عربية شتى.
 - وأن تترجم الأمة ما يقرّره منظّرو الاقتصاد نحو مجتمع المعرفة، ودور العلوم والتكنولوجيا، بأنّ دور اللغة الاقتصادي والاجتماعي يوازي دور النقد، وأنّ مجتمع المعرفة لا يمكن أن يقوم بغير اللغة الوطنية.
- إنّ عناوين هذه المصفوفة، وما تنطوي عليه، لم تكن بمعزل عن وعي العاملين على العربية واهتمام المشتغلين بالمسائل العامة، ولكنها كانت مشروعات تحاوها جهات أكاديمية أو لغوية أو تربوية وتمضي بها خطوات، ثم لا تلبث أن تتوقف دون الغايات النهائية المأمولة. إنها أسئلة

مُعلّقة شأنها شأن الأسئلة التي طُرحت في أوائل القرن الماضي؛ كجعل العربية وافية بمطالب العلوم والفنون، وتيسيرها، وإصلاح كتابتها، ووضع معجمها التاريخي... إلخ. وإنما كانت هذه المشروعات والأسئلة (الأمانّي) تنقطع دون بلوغ الغايات النهائية المأمولة؛ لأنها كانت بمعزل عن سياسة لغوية عربية جامعة، ترعاها بثبات في إطار برنامج شامل في التخطيط اللغوي. ولعل القرار السياسي العربي المشترك الجامع الذي صدر في فواتح هذا القرن في القمة العربية التي عُقدت في دمشق عام 2008 للنهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، وما استتبعه من تشكيل هيئات عربية وطنية للنهوض باللغة العربية (كما في قرار الأردن - الذي صدر في ضوء قرار القمة - بتشكيل اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية)، أن يكون مدخلاً لرعاية هذه الجهود والمشروعات جميعاً، كي تبلغ غاياتها المأمولة بانسجام وانتظام بنيوي متكامل، وإذا تدخلت العربية نهضة حديثة، وتستأنف دورها في دورة الحياة والحضارة. ولعل مما يؤنسنا بذلك أن النهوض باللغة العربية قد أصبح هو العنوان الرئيس للمسألة اللغوية في الفضاء العربي.

الهوامش

1. الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الحاجري (مصر: دار المعارف، 1958)، ص 102.

2. انظر:

J.D. Latham, "Arabic in Medieval Latin," *Journal of Semitic Studies* Vol. XVII (1972), p. 31.

وانظر أيضاً: عبدالقادر الفاسي الفهري، "أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة في المشروع الثقافي العربي"، صحيفة القدس العربي (لندن)، 2005 / 10 / 7.

3. عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1961)، ص 676.

4. المرجع السابق، ص 676-677.

5. نهاد الموسى، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة (عمّان؛ رام الله؛ غزة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003) ص 153؛ وسعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية (بيروت: دار الفكر 1971)، ص 23-37.

6. انظر:

Joshua Fishman, *Language and Nationalism* (Massachusetts: Newbury House, 1972), p. 60.

7. المرجع السابق، ص 60.

8. أحمد أبو زيد، "هل تقوم لغة عالمية واحدة؟"، مجلة العربي (الكويت)، العدد 542 (يناير 2004)، ص 33.

9. انظر:

Stuart Jeffries, "Le Francais? That's so outta here," *The Guardian*, October 22, 2001.

10. السيد ياسين، "كتابة النص في عالم متغير من انهيار السلطة اللغوية إلى سقوط الأنساق الفكرية"، ندوة اللغة العربية والإعلام وكتابة النص، منتدى الفكر العربي ومجمع اللغة العربية الأردني، عمّان، 13 سبتمبر 2005، ص 3.

11. بسام بركة، "اللغة العربية وتحديات العصر الحديث"، مجلة حوار العرب (بيروت)، السنة الأولى، العدد 5 (إبريل 2005)، ص 24.

12. عبدالسلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة (مصر: شركة مطابع لوتس بالفجالة، 1999)، ص 390.

13. المرجع السابق.

14. المرجع السابق.

15. انظر:

Jacques Maurais and Michael A. Morris (eds), *Language in a Globalizing World* (Cambridge University Press, 2003), p. 231.

16. المرجع السابق (التقديم).

17. المرجع السابق، ص 17.

18. انظر:

Peter Trudgill, *Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society* (London: Penguin Books, 1995), pp. 128-134.

19. انظر:

Foued Laroussi, "Arabic and the New Technologies," in *Language in a Globalizing World*, op. cit., p. 258.

20. انظر:

Leonard Bloomfield, *Language* (New York: Holt, 1933), p. 10.

21. فهمي جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى (عمّان: دار الشروق للنشر و التوزيع، 1985)، ص 31.

22. المرجع السابق، ص 30.

23. انظر:

Yasir Suleiman, *The Arabic Language and National Identity* (Edinburgh University Press, 2003), p. 66.

24. محمد أمارة (تحرير)، النسيج اللغوي الاجتماعي للفلسطينيين في إسرائيل (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2002)، ص 108.

25. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحول (عمّان؛ رام الله؛ غزة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007)، ص 68.

26. انظر:

Bjorn Jernudd, *Lectures on Language Problems* (India: Bahri Publications, 1990), p. 10.

27. محمد مراياتي، تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية وأثره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفي التوجه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2010)، ص 16-19.

28. المرجع السابق.

29. المرجع السابق.

30. الطاهر لبيب، عودة إلى المسألة اللغوية في النهوض العربي ومواكبة العصر (الأردن: مؤسسة عبدالحميد شومان، 2005)، ص 173-174.

31. محمد مراياتي، مرجع سابق، ص 18.

32. شكري فيصل، "التجربة اللغوية لدى ساطع الحصري"، مجلة المعرفة (دمشق)، العدد 178 (ديسمبر 1976).

33. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 141.

34. "اللهجات العامية الحديثة"، مجلة الرسالة (القاهرة)، العدد 422 (أغسطس 1941).

35. المرجع السابق.

36. "تقريب العامية من الفصيحة"، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء 41 (مايو 1978)، ص 17.

37. "الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية"، مجلة اللسان العربي (القاهرة)، العدد الرابع (1964)، ص 33.

38. محمد هشام بوقمرة، القضية اللغوية في تونس، سلسلة الدراسات الأدبية رقم 6 (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1985).

39. انظر:

Shameem Rafik-Galea and Mohd. Saleh H.J. Hassan, "Bilingualism in Malaysian Corporate Communication," *Studies in Foreign Language Education*, no. 18 (2003), pp. 93-94, 97.

40. نهاد الموسى، الثنائيات في قضايا اللغة العربية، مرجع سابق، ص 233.

41. انظر:

Albertine Gaur, *A History of Writing* (London: The British Library, 1992), p. 97.

42. حامد الزغول، الجامعة الأردنية: نشأتها وتطورها (عمّان: الجامعة الأردنية، 2000)، ص 100.

43. المرجع السابق، ص 131.

44. المرجع السابق.

45. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 164.

46. المرجع السابق، ص 164.

47. انظر:

Edward Sapir, *Language: An Introduction to the Study of Speech* (New York: Harcourt, 1921).

48. انظر:

Leonard Bloomfield, op. cit., p. 458.

نبذة عن المحاضر

الأستاذ الدكتور نهاد الموسى هو نحوي، لساني، تربوي، أكاديمي، ارتبطت سيرته العلمية بالجامعة الأردنية على مدى خمسة وأربعين عاماً، شغل في أثنائها رتبة الأستاذية منذ عام 1980. عمل في هذه الأثناء رئيساً لقسم الدراسات العليا للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ورئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها، وعميداً لكلية الآداب.

أسهم في تطوير مناهج اللغة العربية في الأردن وعمان واليمن. وكان رئيساً للجنة خبراء اللغة العربية في مؤتمر التطوير التربوي في الأردن (عام 1987)، ومستشاراً لفرق تأليف كتب اللغة العربية نحو الاقتصاد المعرفي في الأردن (عام 2004/2005). كما عمل مستشاراً لليونسكو لتعليم العربية في الصين (عام 1983)، وعمل خبيراً للغة العربية لدى مؤسسة التطبيقات التكنولوجية في واشنطن في برنامج الترجمة الآلية.

وكان عضواً في هيئات التحرير لعدد من الدوريات الأكاديمية، وعضواً في لجنة تحكيم جائزة الملك فيصل. وهو عضو في مجلس أمناء مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

له مؤلفات عدة، نذكر منها: كتاب الصورة والصورورة: بصائر في أحوال الظاهرة النحوية ونظرية النحو العربي؛ وكتاب نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث (عام 1980)؛ وكتاب اللغة العربية وأبنائها: أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية (عام 1985)؛ وكتاب قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث (عام 1987)؛ وكتاب العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية (عام 2000)؛

وكتاب الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة (عام 2003)؛ وكتاب اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحوّل (عام 2007).

أعدّ بعض تلاميذه ونخبة من زملائه كتاباً تكريمياً له صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية (عام 2011) عنوانه: آفاق اللسانيات (دراسات، مراجعات، شهادات)؛ وأفرد الدكتور وليد العناتي لجهوده في تعليم العربية كتاباً مستقلاً عنوانه: نهاد الموسيقى وتعليم اللغة العربية: رؤى منهجية، صدر عن وزارة الثقافة في الأردن (عام 2005).

صدر من سلسلة محاضرات الإمارات

1. بريطانيا والشرق الأوسط: نحو القرن الحادي والعشرين
مالكولم ريفكند
2. حركات الإسلام السياسي والمستقبل
د. رضوان السيد
3. اتفاقية الجات وآثارها على دول الخليج العربية
محمد سليم
4. إدارة الأزمات
د. محمد رشاد الحملاوي
5. السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي
لينكولن بلومفيلد
6. المشكلة السكانية والسلم الدولي
د. عدنان السيد حسين
7. مسيرة السلام وطموحات إسرائيل في الخليج
د. محمد مصلح
8. التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية
خليل علي حيدر
9. الإعلام وحرب الخليج: رواية شاهد عيان
بيتر أرنييت
10. الشورى بين النص والتجربة التاريخية
د. رضوان السيد
11. مشكلات الأمن في الخليج العربي
منذ الانسحاب البريطاني إلى حرب الخليج الثانية
د. جمال زكريا قاسم
12. التجربة الديمقراطية في الأردن: واقعها ومستقبلها
هاني الحوراني
13. التعليم في القرن الحادي والعشرين
د. جيزي فياتر

14. تأثير تكنولوجيا الفضاء والكمبيوتر على أجهزة الإعلام العربية
محمد عارف
15. التعليم ومشاركة الآباء بين علم النفس والسياسة
دانييل سافران
16. أمن الخليج وانعكاساته على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية
العقيد الركن / محمد أحمد آل حامد
17. الإمارات العربية المتحدة «آفاق وتحديات»
نخبة من الباحثين
18. أمن منطقة الخليج العربي من منظور وطني
صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن
خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود
19. السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي
د. شبلي تلحمي
20. العلاقات الفلسطينية - العربية من المنفى إلى الحكم الذاتي
د. خليل شقافي
21. أساسيات الأمن القومي: تطبيقات على دولة الإمارات العربية المتحدة
د. ديفيد جارنم
22. سياسات أسواق العمالة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية
د. سليمان القدسي
23. الحركات الإسلامية في الدول العربية
خليل علي حيدر
24. النظام العالمي الجديد
ميخائيل جورباتشوف
25. العولمة والأقلمة: اتجاهان جديان في السياسات العالمية
د. ريتشارد هيجوت
26. أمن دولة الإمارات العربية المتحدة: مقترحات للعقد القادم
د. ديفيد جارنم
27. العالم العربي وبحوث الفضاء: أين نحن منها؟
د. فاروق الباز

28. الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في روسيا الاتحادية

د. فكتور ليبيديف

29. مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. ابتسام سهيل الكتبي

د. جمال سند السويدي

اللواء الركن حبيي جمعة الهاملي

سعادة السفير خليفة شاهين المرر

د. سعيد حارب المهيري

سعادة سيف بن هاشل المسكري

د. عبدالخالق عبدالله

سعادة عبدالله بشارة

د. فاطمة سعيد الشامي

د. محمد العسومي

30. الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

د. علي الأمين المزروعى

31. منظمة التجارة العالمية والاقتصاد الدولي

د. لورنس كلاين

32. التعليم ووسائل الإعلام الحديثة وتأثيرهما في المؤسسات السياسية والدينية

د. ديل إكلمان

33. خمس حروب في يوغسلافيا السابقة

اللورد ديفيد أوين

34. الإعلام العربي في بريطانيا

د. سعد بن طفلة العجمي

35. الانتخابات الأمريكية لعام 1998

د. بيتر جوبسر

36. قراءة حديثة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة

د. محمد مرسي عبدالله

37. أزمة جنوب شرقي آسيا: الأسباب والنتائج

د. ريتشارد روبيسون

38. البيئة الأمنية في آسيا الوسطى

د. فريدريك ستار

39. التنمية الصحية في دولة الإمارات العربية المتحدة من منظور عالمي

د. هانس روسلينج

40. الانعكاسات الاستراتيجية للأسلحة البيولوجية والكيميائية على أمن الخليج العربي

د. كمال علي بيوغلو

41. توقعات أسعار النفط خلال عام 2000 وما بعده ودور منظمة الأوبك

د. إبراهيم عبد الحميد إسماعيل

42. التجربة الأردنية في بناء البنية التحتية المعلوماتية

د. يوسف عبدالله نصير

43. واقع التركيبة السكانية ومستقبلها في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. مطر أحمد عبدالله

44. مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد

عدنان أمين شعبان

45. دراسات في النزاعات الدولية وإدارة الأزمة

د. ديفيد جارنم

46. العولمة: مشاهد وتساؤلات

د. نايف علي عبيد

47. الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب

(دراسة ميدانية لعينة من الشباب في جامعة الإمارات العربية المتحدة)

د. طلعت إبراهيم لطفي

48. النظام السياسي الإسرائيلي: الجذور والمؤسسات والتوجهات

د. بيتر جوبسر

49. التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة

د. سهير عبدالعزيز محمد

50. مصادر القانون الدولي: المنظور والتطبيق

د. كريستوف شرور

51. الثوابت والمتغيرات في الصراع العربي - الإسرائيلي وشكل الحرب المقبلة

اللواء طلعت أحمد مسلم

52. تطور نظم الاتصال في المجتمعات المعاصرة

د. راسم محمد الجمال

53. التغيرات الأسرية وانعكاساتها على الشباب الإماراتي: تحليل سوسيولوجي

د. سعد عبدالله الكبيسي

54. واقع القدس ومستقبلها في ظل التطورات الإقليمية والدولية

د. جواد أحمد العناني

55. مشكلات الشباب: الدوافع والمتغيرات

د. محمود صادق سليمان

56. محددات وفرص التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. محمد عبدالرحمن العسومي

57. الرأي العام وأهميته في صنع القرار

د. بسيوني إبراهيم حمادة

58. جذور الانحياز:

دراسة في تأثير الأصولية المسيحية في السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية

د. يوسف الحسن

59. ملامح الاستراتيجية القومية في النهج السياسي

لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

د. أحمد جلال التدمري

60. غسل الأموال: قضية دولية

مايكل ماكديونالد

61. معضلة المياه في الشرق الأوسط

د. غازي إسماعيل ربابعة

62. دولة الإمارات العربية المتحدة: القوى الفاعلة في تكوين الدولة

د. جون ديوك أنتوني

63. السياسة الأمريكية تجاه العراق

د. جريجوري جوز الثالث

64. العلاقات العربية - الأمريكية من منظور عربي: الثوابت والمتغيرات

د. رغيد كاظم الصلح

65. الصهيونية العالمية وتأثيرها في علاقة الإسلام بالغرب
د. عبدالوهاب محمد المسيري
66. التوازن الاستراتيجي في الخليج العربي خلال عقد التسعينيات
د. فتحي محمد العفيفي
67. المكون اليهودي في الثقافة المعاصرة
د. سعد عبدالرحمن البازعي
68. مستقبل باكستان بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001
وحرب الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان
د. مقصود الحسن نوري
69. الولايات المتحدة الأمريكية وإيران: تحليل العوائق البنيوية للتقارب بينهما
د. روبرت سنايدر
70. السياسة الفرنسية تجاه العالم العربي
شارل سان برو
71. مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة: نظرة مستقبلية
د. جمال سند السويدي
72. الاستخدامات السلمية للطاقة النووية: مساهمة الوكالة الدولية للطاقة الذرية
د. محمد البرادعي
73. ملامح الدبلوماسية والسياسة الدفاعية لدولة الإمارات العربية المتحدة
د. وليم رو
74. الإسلام والغرب عقب 11 أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع حضاري؟
د. جون إسبوزيتو
75. إيران والعراق وتركيا: الأثر الاستراتيجي في الخليج العربي
د. أحمد شكارا
76. الإبحار بدون مرصاة: المحددات الحالية للسياسة الأمريكية في الخليج العربي
د. كلايف جونز
77. التطور التدريجي لمفاوضات البيئة الدولية: من استوكهولم إلى ريودي جانيرو
مارك جيدويت
78. اقتصادات الخليج العربي: التحديات والفرص
د. إبراهيم عويس

79. الإسلام السياسي والتعددية السياسية من منظور إسلامي
د. محمد عمارة
80. إحصاءات الطاقة: المنهجية والنماذج الخاصة بوكالة الطاقة الدولية
جون دينمان و ميكي ريسي و سويت كاربوز
81. عمليات قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام: تجربة أردنية
السفير عيد كامل الروضان
82. أنماط النظام والتغيرات في العلاقات الدولية: الحروب الكبرى وعواقبها
د. كيتشي فوجيوارا
83. موقف الإسلاميين من المشكلة السكانية وتحديد النسل
خليل علي حيدر
84. الدين والإثنية والتوجهات الأيديولوجية في العراق: من الصراع إلى التكامل
د. فالح عبدالجبار
85. السياسة الأمريكية تجاه الإسلام السياسي
جراهام فولر
86. مكانة الدولة الضعيفة في منطقة غير مستقرة: حالة لبنان
د. وليد مبارك
87. العلاقات التجارية بين مجلس التعاون لدول الخليج العربية والاتحاد الأوروبي:
التحديات والفرص
د. رودني ويلسون
88. احتمالات النهضة في "الوطن العربي"
بين تقرير التنمية الإنسانية العربية ومشروع الشرق الأوسط الكبير
د. نادر فرجاني
89. تداعيات حربي أفغانستان والعراق على منطقة الخليج العربي
د. أحمد شكارة
90. تشكيل النظام السياسي العراقي: دور دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية
جيمس راسل
91. الاستراتيجية اليابانية تجاه الشرق الأوسط
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر
د. مسعود ضاهر

92. الاستخبارات الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبر: سد الثغرات
إيلين ليبسون
93. الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والعراق:
تحديات متعددة للقانون الدولي
ديفيد م. مالون
94. الحرب الأمريكية على الإرهاب وأثرها على العلاقات الأمريكية - العربية
جيمس نويز
95. القضية الفلسطينية وخطة الانفصال عن غزة:
آفاق التسوية.. انفراج حقيقي أم وهمي؟
د. أحمد الطيبي ومحمد بركة
96. حرب الولايات المتحدة الأمريكية على العراق
وانعكاساتها الاستراتيجية الإقليمية
د. أحمد شكارا
97. سيناريوهات المستقبل المحتملة في العراق
كينيث كاتزمان
98. الأسلحة النووية في جنوب آسيا
كريس سميث
99. العلاقات الروسية مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية
انعكاسات على الأمن العالمي
فيتالي نومكن
100. تقنيات التعليم وتأثيراتها في العملية التعليمية:
دراسة حالة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة
د. مي الخاجة
101. الخليج العربي واستراتيجية الأمن القومي الأمريكي
لورنس كورب
102. مواجهة التحدي النووي الإيراني
جاري سمور

103. الاقتصاد العراقي: الواقع الحالي وتحديات المستقبل

د. محمد علي زيني

104. مستقبل تمويل الصناعة النفطية العراقية

د. علي حسين

105. المشاركة الاستراتيجية الأسترالية في الشرق الأوسط: وجهة نظر

ديفيد هورنر

106. سوريا ولبنان: أصول العلاقات وآفاقها

حازم صاغية

107. تنفيذ الاتفاقيات الدولية وقواعد القانون الدولي

بين التوجهات الانفرادية والتعددية

د. أحمد شكارة

108. التحديات ذات الجذور التاريخية التي تواجه دولة الإمارات العربية المتحدة

د. فاطمة الصايغ

109. حل النزاعات في عالم ما بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على العراق

مايكل روز

110. أستراليا والشرق الأوسط: لماذا أستراليا "مؤيد صلب" لإسرائيل؟

علي القزق

111. العلاقات الأمريكية - الإيرانية:

نظرة إلى الوراء... نظرة إلى الأمام

فلينت ليفيريت

112. نزاعات الحدود وحلها في ضوء القانون الدولي: حالة قطر والبحرين

جيو فاني ديستيفانو

113. العراق والإمبراطورية الأمريكية:

هل يستطيع الأمريكيون العرب التأثير في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط؟

د. رشيد الخالدي

114. الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في الشرق الأوسط وخارجه:

شركاء أم متنافسون؟

تشارلز كوتشان

115. تعاظم دور حلف الناتو في الشرق الأوسط "الكبير"

فيليب جوردن

116. مكافحة الجرائم المعلوماتية وتطبيقاتها

في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. ناصر بن محمد البقمي

117. ما مدى قدرة إيران على تطوير المواد الخاصة بالأسلحة النووية وتقنياتها؟

جون لارج

118. السلام الهش في سريلانكا

كريس سميث

119. البرنامج النووي الإيراني:

الانعكاسات الأمنية على دولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي

ريتشارد رسل

120. أمن الخليج وإدارة الممرات المائية الإقليمية:

الانعكاسات على دولة الإمارات العربية المتحدة

برتراند شاريبي

121. الأفرو عربية الجديدة: أجناس جنوب أفريقيا الأفريقية

والعربية والشرق أوسطية

كريس لاندزبيرج

122. دور محكمة العدل الدولية في العالم المعاصر

القاضية روزالين هيجنز

123. من محاربي إلى سياسيين: الإسلام السلفي ومفهوم "السلام الديمقراطي"

جيمس وايلي

124. صورة العرب في الذهنية الأفريقية: حالة نيجيريا

د. الخضر عبدالباقي محمد

125. الأزمة الاقتصادية العالمية وانعكاساتها

على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. هنري عزام

126. الصراع على السياسة والسلطة في الساحة الفلسطينية:

المقدمات والتداعيات وما العمل؟

ماجد كيالي

127. نظرة الغرب إلى الإسلام ومستقبل السلفية الإسلامية

شارل سان برو

128. الأمن الإنساني: دور القطاع الخاص في تعزيز أمن الأفراد

وولفجانج أماديوس برولهارت ومارك بروبست

129. مكافحة تمويل التهديدات عبر الحدود الوطنية

مايكل جاكوبسون وماثيو ليفيت

130. مصادر التهديد لدول الخليج العربية وسياسات الأمن لديها

د. أحمد شكارة

131. الانتخابات الرئاسية الإيرانية العاشرة وانعكاساتها الإقليمية

د. محجوب الزويري

132. العلاقات الأمريكية-الإيرانية: نحو تبني واقعية جديدة

د. محمود مونشيوري

133. مشاركة ضرورية: إعادة تشكيل العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي

د. إميل نخلة

134. المستقبل السياسي للصومال

د. عبيد عواله جامع

135. المسلمون الأمريكيون وإدارة أوباما

د. محمد نصر

136. التحديات الداخلية في باكستان وتأثيراتها في المنطقة

نعيم أحمد ساليك

137. المسلمون في أوروبا بين الاندماج والتهميش

د. حسني عبيدي

138. تعزيز علاقات الشراكة بين مراكز البحوث الأمريكية والخليجية

د. جيمس ماكجان

139. العراق: تداعيات ما بعد الانتخابات البرلمانية

وقرب الانسحاب الأمريكي في 2011

د. أحمد شكاره

140. حماية الفضاء الإلكتروني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

ريتشارد كلارك وروبرت نيك

141. التهديد الإرهابي للأمن البحري لدولة الإمارات العربية المتحدة

بول بيرك

142. الأزمة المالية ومستقبل الدولار الأمريكي بصفته عملة الاحتياط العالمية

إسوار إس. براساد

143. الهجرة الدولية: الواقع والآفاق

د. محمد الخشاني

144. السياسة الخارجية الألمانية تجاه منطقة الخليج

أبرهارد زاندشنايدر

145. سياسة تركيا الخارجية وانعكاساتها الإقليمية

د. مليحة بنلي الطون إيشيق

146. استفتاء جنوب السودان وتداعياته الإقليمية والدولية

د. إبراهيم النور

147. العلاقات الهندية الباكستانية: الأسس المشتركة ونقاط الخلاف

سجاد أشرف

148. الديمقراطية في أمريكا اللاتينية

مارسيل فورتونا بياتو

149. التحديات والتحويلات في العالم العربي

د. عبدالحق عزوزي

150. قراءة في الوضع الأمني في باكستان

سيد أظهر علي

151. أفغانستان: تحديات الانتقال إلى السلام

علي أحمد جلاي

152. مستقبل الإسلام السياسي في العالم العربي

طارق رمضان

153. صراع العملات على الساحة الدولية

جون دريفيل

154. دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم

الدكتور محمد سعدي

155. الاتحاد الأوروبي والقضية الفلسطينية

ألفارو دو فاسكونسيلوس

156. الديناميات الاستراتيجية للمحيط الهندي

فيجاي ساكوجا

157. الاقتصاد والسياسة في عالم مضطرب

جيجوش كولودكو

158. تحديات ومستقبل الاتحاد الخليجي

د. عبدالله خليفة الشايجي

159. اللغة العربية وسؤال المصير

نهاد الموسى

قسمة اشتراك في سلسلة
«محاضرات الإمارات»

الاسم :
المؤسسة :
العنوان :
ص.ب :
الرمز البريدي :
الدولة :
هاتف :
البريد الإلكتروني :
بدء الاشتراك: (من العدد: .. إلى العدد: ..)

رسوم الاشتراك*

للأفراد:	110 دراهم	30 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات:	220 درهماً	60 دولاراً أمريكياً

- للاشتراك من داخل الدولة يقبل الدفع النقدي، والشيكات، والحوالات النقدية.
- للاشتراك من خارج الدولة تقبل فقط الحوالات المصرفية، مع تحمل المشترك تكاليف التحويل.
- في حالة الحوالة المصرفية، يرجى تحويل قيمة الاشتراك إلى حساب مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية رقم 1950050565 - بنك أبوظبي الوطني - فرع الخالدية، ص.ب: 46175 أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة.
- يمكن الاشتراك عبر موقعنا على الإنترنت (www.ecssr.ae) باستعمال بطاقتي الائتمان Visa و Master Card.

لمزيد من المعلومات حول آلية الاشتراك يرجى الاتصال:

قسم التوزيع والمعارض

ص.ب: 4567 أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044445 (9712) فاكس: 4044443 (9712)

البريد الإلكتروني: books@ecssr.ae

الموقع على الإنترنت: <http://www.ecssr.ae>

* تشمل رسوم الاشتراك الرسوم البريدية، وتعطي تكلمة اثني عشر عدداً من تاريخ بدء الاشتراك.